شعر القرن التاسع عشر

بين التجديد والتقليد

للاستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

-١-

بقية ما نشر فى العدد الماضى

إذا كان هؤلاء الشعراء [illegible] الشعراء فى عصور الانحطاط ، بعد أن فترت هممهم عن التحليق فى سماء التجديد وذابت شخصياتهم ، فلم يعد لهم قدرة على الخلق والابتكار ، بل وضعوا أنفسهم فى مقام التابعين للضعفاء ، والمرء حيث يضع نفسه . وليس أدل على التقليد وفتور القريحة ، من اتخاذ شعر الأقدمين مجالا للتشطير والتخميس وما شابه ذلك فاستمع إلى حسين بيهم المتوفى سنة ١٨٨١ يقول :

وإذا المناية لاحظتك عيونها ... وحباكها من فضله الرحمن
ناداك طائر يمنها وسعودها ... ثم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبالة ... وأملك بها الغبراء فهى سنان
واصعد بها العلياء فهى معارج ... واقتد بها الجوزاء فهى عنان

والشاعر فى مثل هذا متقيد بمنهج غيره ، ملزم بإحساس [illegible] فى مثل هذا تصور العاطفة والاحساس .

وقد يلجأ الشاعر إلى طريقة أخرى ؛ فهو يقلد من سبقه فى معانيه ووزنه وقافيته ، ولا يزال يلح فى التقليد حتى ينقل إليك من كلام السابقين ما حلاله ، ومن ذلك قول « فارس الشدياق » فيما سماه « دمعة على طفل »

والطاقة وهناك مثل حى للدور الذى تلعبه البيئة فى الاقتصاد ؛ فمنذ أقل من قرن كانت اليابان أمة أبناؤها ٣٠ مليون نسمة . كان معظمهم يكفى نفسه بنفسه . واليوم يقطن اليابان الأصلية أكثر من ٧٥ مليون نسمة بالاضافة إلى ثمانية وعشرين فى امبراطوريتها الاستعمارية . باستثناء منشوريا وما أخذ من الصين (وهذا طبعا كان قبل الحرب العظمى الثانية) ومع أن البيئة المحلية هى كما كانت منذ قرن فانها مع تطور التجارة تلعب دورا خطيراً ، لأن اليابانيين ربطوا اقتصادهم بالبيئة العالمية . وقد استغلوا أنهارهم القصيرة فى توليد الكهرباء للصناعات ، وهذا مع رخص الأجور وضع أساس النهضة الصناعية . فكان المستورد من الصوف والقطن والمعادن يصنع ويصدر ثانية . كل ذلك جعل من اليابان القوة الوحيدة فى الشرق الأقصى .

***

والجغرافيا الاقتصادية من أهم فروع الجغرافيا ، فهى تدرس الحرف المختلفة وتحاول أن تشرح سبب تفوق مناطق خاصة فى انتاج وتصدير مختلف السلع ، فى حين تتفوق أقاليم أخرى فى الاستهلاك والاستيراد . ومن البديهى أن هناك أسبابا طبيعيه لنشاط الانسان فى حصوله على حاجياته الرئيسية : الغذاء والكساء والمأوى والوقود . فلن يبحث الصائد عن الدب القطبى فى مناطق السفانا المدارية ، أو السباع فى أقاليم التندرا . ولا تنمو الحبوب فى الصحراء المجدبة ، إنما يبحث الانسان عن المياه الضحلة قرب الارصفة القارية من أجل السمك ، وعن حقول الفحم وآبار الزيت وعن الغابات الدفيئة وعن السهول الخصبة المستوية للزراعة . وإذا عرفنا أثر العوامل الطبيعية فلا يمكن أن نتجاهل العوامل البشرية ، فالمؤثرات الجنسية والتقاليد الوروثة تؤثر فى مختلف نواحى نشاط الانسان ، فالمواهب الفنية للفرنسى ، وصبر العامل الصينى ، وعادات الفراغ فى أمريكا اللاتينية ... هى تؤثر فى الزراعة والصناعة والتجارة ، ولا يمكن أن تكون أقل أهمية من العوامل الطبيعية .

إذن يمكن القول بوجه عام إن الصلة بين عوامل البيئة الطبيعية والأحوال الاقتصادية من جهة ، وبين الحرف المنتجة وتوزيع إنتاجها من جهة أخرى ، هذه الصلة هى موضوع دراسة الجغرافيا الاقتصادية . ثم إن الناس اليوم فى كل مكان لا يتأثرون ببيئاتهم المحلية فحسب بل يتأثرون أيضا بالبيئات الأخرى وبالأحوال الاقتصادية فى شتى بقاع العالم .

محمد محمد على

الدمع بعدك ما ذكرتك جاري ... والفكر ما وراك ترب وار
يا راحلا عن مهجة غادرتها ... تصلى من الحسرات كل أوار
خطأ وهمت فأين بعدك مهجتي ... ما في حشاي سوى لهيب النار
رمقا أقل الجسم مني فادحا ... فكأنه وقر من الأوقار
ما بعد فقدك رائعي أو رائقي ... شيء من الظلمات والأنوار
أيني ما يجدى التصبر إقولهم : ... حكم المنية في البرية جار
كلا ولا بي قر بعدك من حمى ... ما هـذه الدنيا بدار قرار

وهكذا يمضي الشاعر مقلدا مرة وناقلا مرة أخرى إلى آخر القصيدة . ومن التأثر بشعر الأقدمين قول السيد على الدرويش يذم بلدة منفلوط وكان قد زارها فلم يلاق فيها ترحيبا ولا برا :

وردنا منفلوط فلا سقاها ... وردناها فأظمأنا الورود
فيالي قد بعثت لقوم عاد ... كأني صالح وهم ثمود
أراهم ينظرون إلى شزرا ... كعيسى حين تنظره اليهود

ومن الألوان التي أسرفوا فيها ، وبعدوا فيها عن منهاج الشعر الصحيح ما سموه « بالتاريخ الشعري » ومن أمثلة هذا قول أحدهم يؤرخ تولى الخليفة للخلافة :

تولى التخت سلطان البرايا ... وأيده الإله بعز تاه
فصاح الكون لما أرخوه ... نظام الملك « محمود » بهاه

فتأمل كيف يضيع الشاعر وقته ، وينفق مجهوده في وضع حرف مكان حرف ، وكلمة مكان أخرى حتى يخرج مجموع الحروف في قوله : « نظام الملك محمود بهاه » « ١٢٢٣ » وأية ناحية من نواحي الجمال في مثل هذين البيتين .

وراح الشعراء لنضوب الأذهان من المعاني الجليلة يطرزون اللفظ والمعنى بشتى ألوان المحسنات ، فكان بعضهم يوفق في اصطياد المحسنات فتأتي سهلة لا يشق وقعها على السمع ، ولا تنبو عن الذوق . من مثل الاقتباس في قول البربير حينما هجا تاجرا سها عن الآخرة :

يا تاجرا لا يزال يرجو ... ربحا ويخشى الخسارة
عبادة الله كل حين ... خير من اللهو والتجارة

وكان يخطئهم التوفيق أحيانا فيسمجون. فتأمل قول الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوي في وصف دار للجبرتي :

سما في سماء الكون فانتهج العلا ... برفعته وازداد سرا سروره
ومن مجـد بانيه تزايد بهجة ... وقالد من دار المعالي نحوره
ودام به سعد المعالي مؤرخا ... حمى العز بالولي الجبرتي نوره

وقول على الدرويش في وصف قصر أيضا :

وقصر كالسماء به نجوم ... مطالعه السعادة والبدور
على أقطاره تبكى عيون ... إذا ابتسمت لوارده زهور
فليس بوافد وافاه نهر ... وقد نضدت لمدحته البحور
لئن أضحى لبناه متون ... فقد شرحت لرؤيته الصدور

ولقد كان هؤلاء الشعراء أنفسهم ومن في طبقتهم إذا تجاوزوا هذه الموضوعات إلى موضوعات أخرى فيها حديث النفس وتصوير العواطف ؛ أصابوا بعض التوفيق فتأمل قول السيد عمر اليافي وكان من المتصوفين :

أنا بالله اعتصامي ... لا أرى في ذاك شكا
موقنا أن لا سواه ... كاشف ضرا وضنكا
راجيا فيه نوالا ... ورشادا ليس يحكى
لم أزل لله عبدا ... وبهذا أتزكى

ولعلك واجد في هذه الأبيات طبعا وانسجاما وسهولة لا تحسها في الأشعار السابقة .

ولا بأس من أن نعرض هنا صورا من استجابة هؤلاء الشعراء إلى عواطفهم ؛ في موضوعات الفكاهة والدعابة ووصف الطبيعة وشكوى الزمان ، ففيها على أي حال طلاقة وإحساس ، وقوة ملامح الشاعر التي تميزه عن غيره من الشعراء . ونحن لا ننكر أننا سنجد في هذا كله سذاجة في بعض المعاني ، وسنقع على بعض الضعف في الأسلوب ، ولكننا مع هذا سنستجيب لإحساس الشاعر وسنقبل عليه متأثرين بكثير مما قال — وتتضح لنا شخصيته التي كانت تختفي في الأغراض السابقة وراء حجب كثيفة من التقليد . ستتضح لنا بين الحين والحين ويختفي ضعفه وفتوره ، كما تختفي علة المريض أحيانا في ومضات من عودة الصحة وسلامة العافية . قال الشيخ صالح التميمي ينعى على أرض أقام فيها فلم يطب له فيها المقام :

ما إن تحركت النصون بأرضها ... إلا تحرك في الجسوم أذاها
أشجارها خضر وأوجه أهلها ... صفر كما كشف السقام بهاها

لولا قضاء الله حتم واجب ... أبت المروءة أن أدوس ثراها

وقال أحدهم يشكو الدهر :

رمت قلبي نبال الدهر حتى ... رأيت دمى يسيل من العيون
فلو كان الزمان يصاغ جسما ... لكنت أذيقه كأس المنون

وقال الشيخ يحيى الروزى الهادى العراقى :

على ثياب لو يباع جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تباع بمثلها ... نفوس الورى كانت أعز وأكبرا

ومن ذلك قول الحاج عمر الأنسى البيروتى المولود سنة ١٨٢٢ فى وصف ثقيل اشتكى من كثرة الذنوب :

شكا ثقل الذنوب لنا ثقيل ... فقلت له استمع لبديع قيلى
ثلاث بالتناسب فيك خصت ... فلم توجد بغيرك من مثيل
ذنوبك مثل روحك ضمن جسم ... ثقيل فى ثقيل فى ثقيل

ولعلك تدرك شيئا من ضعف الأسلوب فى هذه الأبيات .

وفى الأبيات التى سنعرضها عليك فيما يلى ، خفة روح ، وتصوير فكه وهى لنيقولا الترك يتحدث عن سرواله وعمامته .

وسروال شكا عتقا وأمسى ... يراودنى المتاق فما عتقت
وكم قد قال لى : بالله قلنى ... وهبنى كنت عبدا وانطلقت
أما تدرى بأنى صرت هرما ... وزاد على أنى قد فتقت
فدعنى حيث قل النفع منى ... وعاد من المحال ولو رتقت
ولا تعبأ بتقليبى لأنى ... بعمر أبيك نوح قد لحقت
ولم يبرح يجدد كل يوم ... على النعى حتى قد قلقت
وقلت له : عتقت اليوم منى ... لأنى فى سواك قد اعتلقت
فأشعرت العمامة فى مقالى ... له فاستحسنت ما قد نطقت
فراحت وهى تشدو فوق رأسى ... لى البشرى إذا وأنا عتقت

نعم فى هذه الأبيات مرح وإحساس ، ولكن فيها بجانب ذلك عسرا فى القافية ، واضطرابا فى الأسلوب ؛ لأن الصياغة لم تسلس بعد للشاعر ، ولم يمرن على الأسلوب السهل الرصين . ومن أمثلة وصف الطبيعة الجميل فى هذا العهد — وإن تعمد فيه الشاعر المحسنات — قول أمين بن خالد الجندى :

يا حبذا الربوة من دمشق ... بالفضل حازت قصبات السبق
كم أطلعت بهـا يد الربيع ... من كل معنى زائد بديع
وفتح الورد الكفوف إذ دعا ... داعى الصباح للها ورجعا
وفككت أنامل النسيم ... أزرار زهر الرند والشميم
وسقطت خواتم الأزهار ... من فنن الأغصان كالدراوى
والتف سيف البرق فى أوراق ... مذ شام خيل الريح فى سباق
ما بكت السماء بالغمام ... إلا وصار الزهر فى ابتسام

ونحن إذا ما تتبعنا الشعر خلال هذا القرن ، وبخاصة بعد أن انقضى عهد منه ؛ لحظنا فيه بذورا من بوادر النهضة توشك أن تظهر فى وضوح وجلاء مع توالى الأيام . فما الذى أحدث هذا يا ترى ؟ ! وما البواعث التى جعلت الشعراء يعزفون عن التقليد شيئا فشيئا ، ويقبلون على ألوان جديدة من الشعر ، توشك أن تحمل مميزات الشعر وصفات التجديد ؟

نحن لا نشك فى أن العلم الذى قطرته البعثات ، ومهدته الترجمة قد وجد طريقه إلى الشعر فغزرت معانيه ، ودقت ورقت أخيلته، وسمت وتمددت آفاقه، فخاض فى ألوان جديدة ، وطرق معانى لم يكن يطرقها من قبل . وعندئذ التفت الشعراء إلى ثقافة الماضى فوجدوها آلية ، قد تقيم اللسان ، ولكنها لا تقدر على البيان ، وقد تدرب على الصرف والعروض ، ولكنها لا تجلو لعينى الشاعر أسرار الحياة ، ولا تمده بالخيال الخصيب والمعانى البديعة ، ولهذا عابوا على النحو والنحويين ، وانتقدوا العروض والعروضيين . فاستمع إلى الشيخ الأسير يعيب على شعراء اللفظ :

خليلى كم قد جد فى الناس شاعر ... وليس له بيت من الشعر عامر

واستمع إلى إلياس صالح وهو يتهكم على المبالغة فى النحو :

ماذا الذى يهمنى ... إن قام زيد أو قعد ؟
أو إن ذهبت ماشيا ... أو راكبا نحو البلد ؟
أو كان زيد مبتدا ... أو فاعلا سد المسد ؟
أو إن يكن ذا الاسم مبـ ... ـنى أو يكن هذا يعد
تصالح الفعلان أو ... تنازعا طول الأبد
فى النحو لا تقهرنى ... إلا تفاصيل العدد
وأفعل التفضيل كم ... قد شذ فيه وشرد
وغير هـذى عقد ... تبا لها تيك العقد
ترى بها قواعدا ... بدون معنى وزبد

مختومـة جميعـها يقس عليه ما ورد

وهذا ولا شك إعلان للحرب على القديم، حيث كان الناس يعدون من لا يبالغ في دراسة النحو والصرف والعروض لا يحق له أن يغامر في ميدان الشعر . وقد آمن كثير من الأدباء ومنهم الأستاذ العقاد (١) والدكتور هيكل باشـا بأن أول من جمع بين الطريقتين ولفق بين الاتجاهين الساعاتي الشاعر ؛ فقد كان وسطا بين الناسجين على طريقة القدامى ، والناقدين لمذاهبهم في المبالغة لدراسة النحو والعروض فهو القائل :

فدعني من قول النحاة فإنهم تمدوا لصرف النطق من غير لازم
إذا أنا أحكمت المعاني خفضتهم وأرفعها قهـــراً بقوة جازم
وما أنا إلا شاعر ذو طبيعة ولست بسراق كبعض الأعاجم

ومن بواعث التجديد في النصف الثاني من هذا القرن ، أن الناس قد استروحوا شيئا من نسيم الحرية الشخصية ، بعد أن كمت الأفواه وغلت الأقلام قرونا طوالا ، فوجد الشعراء في خلال هـذه الحرية منفذا إلى تصوير العواطف والانطلاق على السجية ؛ فعبروا عن النفس في انقباضها وبسطها ، وهتفوا بالمعاني الكريمة التي تصور المآرب والآمال . وأنا أعني بهذه الحرية ما عناه الشاعر وترجمه المنفلوطي حيث قال : « أريد أن أعيش حراً طليقا أضحك كما أشاء، وأبكي كما أريد، واحتفظ بنظري سليما ، وصوتي رنانا ، وخطواتي منتظمة ، ورأسي مرفوعا ، وقولي صريحا ، أنظم الشعر في الساعة التي أختارها ، وفي الشأن الذي أريده ، فإن أعجبني ما ورد منه فذاك ، وإلا تركته غير آسف عليه ، وأخذت في نظم غيره ، بدلا من أن أتوسل إلى الطابعين أن ينشروه ، والأدباء أن يقرظوه ، والممثلين أن يمثلوه ، والعظماء أن ينوهوا به ، ويرفعوا من شأنه .

أريد أن أعيش حراً طليقا أناضل من أشـاء ، وأجادل من أشاء ، وأنتقد من أشاء ، وأن أقول كلمتي الخير والشر للأخيار والأشرار في وجوههم، لا متملقا أولئك ، ولا خاشياً هؤلاء ... »

وقد يكون مصدر هذه الحرية الشخصية التي أدركها الناس فيما يقولون وما يتركون؛ راجعا إلى الحرية السياسية التي أصاب الناس بصيصا منها على يد الحكام ، بعد أن انتقصها السابقون وجار عليها السادة الغابرون ، فقد عرف إسماعيل باشا أنه مسئول عن رق الأمة المصرية ، فعمل على إحياء ما يبعث الأمل في قلوبهم ويقوي الرغبة في نفوسهم ، فمنحهم بعض الحقوق الدستورية ، وقد حدث ما يشبه هذا في الشام والعراق ، على يد مدحت حينما طالب الناس بالدستور ، ولكن ذلك كله لم يطل أمره ، فقد تغيرت الأحوال وتبدلت الشئون .

وقد يكون مصدر هذه الحرية العلم الذي انتشر وذاع وعلاء الناس : فالعالم أحرص الناس على كرامـة نفسه ، والاعتزاز بمكانتها ، ولهذا أنف الشعراء بعد هذا أن تسد في وجوههم طرق الصراحة والتماس الحق ، والتغني بالجمال حيث كان .

وقد ساعد على نمو هذه الحرية ، رخاء العيش في ذلك الزمان كما أدركوا إعجـابا وتشجيعا من الجمهور ، فطبعوا ما أنتجته قرائحهم ، ووجدوا من يقدر هذا الانتاج ، ويقبل عليه ، فحصلوا على المال دون إراقة لماء الوجوه .

ومن أسباب رقي الشعر في هذا العهد ، أن الناس قد شعروا بشيء من الكرامة والعزة ، فاتجهوا إلى ماضيهم المجيد يقلبون صفحاته ، وينقبون عن صفاته ، فوجدوا الفخر كل الفخر في مجد آبائهم العرب ، فالتمسوه في أخبارهم وأشعارهم وكتبهم ؛ وساعدهم على هذا الاتجاه المطبعة التي صارت تقذف اليهم كل يوم بذخائر السابقين وكنوزهم - فعلموا بعد هذا — أنهم أضاعوا المجد وعبثوا بالتراث ، وأنه من الخير لهم أن يقووا أنفسهم عن طريق التعصب للقومية العربية ، فهي خير القوميات وأكرمها ، فكان هذا التعصب من أسباب قوة الشعر ونهضته وما هتف هاتف قبل الشيخ ابراهيم اليازجي بمثل قوله :

وما العرب الكرام سوى نصال لها في أجفن العليا مقام
لعمرك نحن مصدر كل فضل وعن آثارنا أخـذ الأنام
ونحن أولو المآثر من قديم وإن جحدت مآثرنا اللئام
فقد علم العراق لنا قديما أيادي ليس تنكرها الشآم
وفي أرض الحجاز لنا فيوض يسيل لها إلى اليمن انسجام
وفوق الأندلوس لنا بنود لهامات النجوم بها اعتصام

(١) شعراء مصر للعقاد، ومقدمة ديوان البارودي لهيكل

وصلى فى الغرب عن آثار فخر	لهـا فى جبهة الزمن ارتسام
ولسنا القانعين بذكر هذا	وليس لنا بمرونه اعتصام
ولكنا سنجرى فى المعالى	إلى أن يستقيم لها قوام

والالتفات إلى مجد العرب اقتادهم إلى مجد قومى آخر يتصل بالماضى القديم ، وكان هـذا أكثر ظهورا فى مصر ؛ لما لها من مجد عريق ، فها هوذا السيد الدرويش يحاول أن يتحدث عن الهرمين وخلودهما ولكن الأسلوب لا يسعفه فيقول :

أنظر إلى الهرمين واعلم أننى	فيما أراه منهما مبهوت
رسخا على صدر الزمان وقلبه	لم يهنا حتى الزمان يموت

وها هوذا الشيخ نجيب الحداد يتحدث عن مجد مصر فيقول :

أرض إذا لم يعل فى أرجائها	علم فان كرامها أعلام
لبست من المجد التليد مطارفا	ولها من المجد الطريف وسام
وتعانقت والفخر من قدم كما	قد عانقت ألف الكتابة لام
مجد به هرم الزمان ولم يزل	غضا وقد شهدت به الأهرام

ومن حقك الآن أن تسأل : إذا صح أن الالتفات إلى القومية والاعتزاز بالكرامة ، قد جملا الشاعر يخوض فى أغراض غير التى ألفها الشعراء من قبل ، ويتناول من المعانى ما غاب عن السابقين، وند عن الغابرين، فكيف نفسر قوة الأسلوب الطارئة، والعزوف عن المحسنات البديعية التى فتنت الناس عهودا طوالا ؟! وأنا أجيب بأن الاتجاه إلى الأمور الجدية يصرف المرء دائما عن الصغائر ، ويبعده عن العبث الذى لا طائل تحته ، فما قيمة مراعاة الجناس والطباق والتورية فيما يتطلبه صاحب الهمة من الاصلاح، وما قيمة مراعاة النظير وحسن التعليل لراغب فى تصوير عواطفه والانبعاث على سجيته . لقد كبرت آمال الشعراء ونفوسهم فترفعوا عن كل صغير تافه ، والتمسوا تحقيق المآرب من أقرب المسالك فأزالوا ما يعترضهم من عقبات ، وألبسوا معانيهم الأسلوب السهل الجميل ، وهو لا يحملهم عناء ، ولا يصرف وقتهم فى التماس الزينة ، واصطياد الزخارف . على أنهم وجدوا طلبتهم فيما بعثت به المطبعة من أشعار الفطاحل فى عصور العربية الزاهرة : فقد وجدوا جريراً والفرزدق والأخطل والكميت وقطرى بن الفجاءة وأضرابهم إذا ما عالجوا الشعر ، دفعوا إلى المعانى فى أسلوب قوى رصين لا يشوه من جماله ، ولا يحد من بلاغته تلك الزخارف الكثيرة التى مسخت طبيعته بعدهم نحو ألف من الزمان ، وحالت دون تحليقه فى كل سماء ، واندفاعه إلى كل غاية

وبعد فانه لا يختلف اثنان فى أن البارودى بما انتج من شعر رصين كان بداية عهد جديد للشعر حط عنه قيوده وأغلاله ، وبعث فيه الحياة فجال فى كل فن ، واستبق إلى كل غاية ، فلم يقصر دون اللحاق بالفحول السابقين ، ولم يدركه ما أدرك شعراء زمانه من فتور القريحة وركود الذهن .

بل لا يختلف اثنان ، فى أنه أول شاعر أحس قيمة الشعر وقيمة النفس ؛ فترفع بهما عن سفساف المطالب ، وزرى القال وتغنى كما يتغنى صادح الأيك على سجيته : فبكى وابتهج واشتكى وافتخر وعاتب وحن إلى الديار ، وصور الجمال ولم يمدح إلا عن يقين ، أو لرد جميل سلفت أياديه عليه ؛ فكان بهذا نسيج وحده فى القرن التاسع عشر . وإن لم يطالب بشعره كل ما نريده من الشعر فى وقتنا الحاضر ، ويكفيه أنه رائد الركب إلى الغايات الكريمة ، ولا نذكر هنا من شعره المثل أو المثلين ؛ إلا لنعرض فى هـذا المقام لونا جديدا من شعر جديد ، لم يشنف الأذن فى الكلمة شبهه ، ولم يطرق القلب نظيره ، والحق أن كل شعره فاتن خلاب ، يحمل المتخير على الحيرة فيما يأخذ وما يدع

ومن الأمثلة التى تدل على تيقظه السياسى قوله يخاطب الخديو :

سن المشورة وهى أكرم خطة	يجرى عليها كل راع مرشد
فمن استعان بها تأيد ملكه	ومن استهان بأمرها لم يرشد
أمران ما اجتمعا لقائد أمة	إلا جنى بهما ثمار السؤدد
جمع يكون الأمر فيما بينهم	شورى وجند للعدو بمرصد
فالسيف لا يمضى بدون روية	والرأى لا يمضى بغير مهند

ومن قوله من قصيدة يتشوق إلى وطنه :

هل من طبيب لداء الحب أو راق	يشفى عليلا أخا حزن وإيراق ؟!
قد كان أبقى الهوى من مهجتى رمقا	حتى جرى البين فاستولى على الباقى
حزن برانى وأشواق رعت كبدى	يا ويح نفسى من حزن وأشواق
أكلف النفس صبرا وهى جازعة	والصبر فى الحب أعيا كل مشتاق
لا فى سرنديب لى خل ألوذ به	ولا أنيس سوى همى وإطراقى
أبيت أرعى نجوم الليل مرتفقا	فى قنة عز مرقاها على الراقى

بهذا الروح القوى ، والأسلوب الجزل الرصين ، يمضى شاعر القرن التاسع عشر فى قصائده ؛ فلا تحس قلقا ولا ترى